العرب
السبت 2021/05/01
السنة 43 العدد 12047

فنانة مصرية تتوحّد مع الروح عبر رقصة المولوية

أفنان شاهر: المولوية طقس لا يحتاج إلى لغة كي يصل إلى الناس

تعوّد عشاق المولوية التفاعل مع حركات الجسد الراقص في دورانه المستمر دون أن يكل الرجل من الدوران ولا العين التي ترقب ذاك الدوران، فتحصل المتعة للاثنين، الباث والمتلقي، فكيف يكون الحال مع راقصة هذه المرة احترفت المولوية وأتقنت حركاتها حدّ التوحّد مع الروح. هنا حوار لـ"العرب" عن الصوفية وفنونها مع أفنان شاهر أول راقصة مولوية مصرية.

رحاب عليوة
كاتبة مصرية

القاهرة – محبو الرقص يدركون جيدا قدرته على عقد مصالحة حتى إذا كانت مؤقتة بين الروح والجسد، التناغم والتمايل على نغمات معينة تحرّر الجسد من تخشبه المعتاد، وتطلق فيه طاقة مفعمة وراحة، لكن أن تتجاوز تلك الراحة العلاقة بين الروح والجسد، وتعقد مصالحة أكبر بين الذات والكون، أن تصل بشخص إلى حالة روحانية وزهد وصلة مع الله، فهذا ما اختبرته الفنانة المصرية أفنان شاهر في رحلة طويلة تعجّ بالمصادفات.

"العرب" التقت شاهر خلال إحدى حفلات فرقة "روح" للإنشاد الصوفي في رمضان الحالي بالقاهرة، ولم تكن الحفلة كما ينبغي بالنسبة إليها، إذ تحتاج المولوية إلى أرض ثابتة كي يستطيع المولوي الأداء دون معوقات أو مخاطر، فيما كانت الحفلة في حديقة.

أفنان شاهر

المولوية لا يمكن أن يؤديها غير زاهد، وهي رحلة صعبة لكنها مريحة

وأدّت الفتاة المصرية للمرة الأولى رقصتها في بيئة غير مهيئة، ومع ذلك استطاعت أن تذوب لكن بذوبان غير تام، تندمج لكن المعوقات تحول دون الانعزال، القلق على قدميها، الخوف من موضع النزول القادم.

جلسنا مع أفنان عقب الحفل فبدت منزعجة، كالحبيب الذي فاته لقاء حبيبه، أو كالظمآن الذي انقطع عنه الماء دون أن يروي عطشه.

حالة شاهر كانت كفيلة بتصوير كيف هي حالة المولوي، ورؤية ما سبّبه فيها عدم تمام الوصل كان كفيلا بتصوير النقيض أو حالة التحليق التي تكون فيها حين توغل دون معوقات، وتنعزل دون عزلة.

الجمهور وكان معظمه من الأجانب، لم يلحظ عدم تهيئة البيئة أو أن ما رآه من مولوية محض نفحة بسيطة حالت الظروف دون اكتمالها، الكل أبدى إعجابا وسعادة، لكنها ظلت منزعجة، وهنا كان دليل آخر على أن المولوي وإن كان يؤدّي أمام جمهور لكنه يؤدّي لذاته في المقام الأول.

جسد ضئيل، وملابس فضفاضة تستشعر ثقلها حتى وأنت لا ترتديها، تركيز جم، ثم ذوبان بمجرد الانطلاق في الدوران حول الذات، ليس لتمحورها لكن للخروج منها.

تحاشي السقوط

يرتبط الدوران عادة بفعل السقوط، ربما لذلك اختار الشيخ الصوفي جلال الدين الرومي أو "مولانا" كما يُلقب، الدوران عند تأسيسه لطقسه قبل المئات من السنين، كحيلة لسقوط الذات أو وضاعتها والسمو بالروح وترقيتها للسماء، لذا يلقبونها أيضا بـ"رقصة السماء".

خلال تلك الرقصة، والتي تحتاج إلى أشهر لإتقانها، فإن الحسابات تختلف، فقد يحدث السقوط الاعتيادي المرتبط بالدوران، لكن لا بد أن يكون غير مرئي، فراقص أو مؤدّي المولوية إذا سقط سقوطا منظورا، كان ذلك برهان فشل، إذ لم ترتق روحه كفاية كي تحمل جسده وتحلّق به.

تلك بالطبع أفكار فلسفية قد تتبادر إلى ذهنك وأنت تشاهد فعلا لو حاولت تقليده مع نفسك لن تصمد سوى دقائق ثم تنتهي بالسقوط، أما عمليا، فتلك الرقصة لها أصول وتكتيكات تقي الراقص من الدوار، وتعينه على كسرها أو معالجتها، وحين يصل المؤدّي إلى قدرة على الدوران لنحو 45 دقيقة متصلة يكون قد وصل إلى الاحترافية.

واعتادت شاهر أن تستقبل مشاهدين بعد العرض يطالبونها بتلقينهم فنها، وبثّ روحانيتها فيهم، وبالفعل بدأت الفنانة الشابة أولى ورشها لتعليم رقصة المولوية الصوفية، لسبعة من الفتيات والفتيان، أبهروها بعد التدريبات الأولى.

ولم تكن الشابة قادرة في البداية على إبهار معلمها أو سرعة التعلم على النحو ذاته، ليس لأنها بطيئة فيه، لكن لأنها حين أقبلت على التعلم لم تكن كطلابها مفتونة ومحبة وفضولية صوب ذلك الطقس، بل كان الأداء حينها محض واجب وتنفيذا لشروط دور تؤدّيه في عرض مسرحي خلال الجامعة.

وردة الصحراء

كان ذلك قبل ست سنوات، حين أُسند إلى أفنان، وهي طالبة في كلية الحقوق، دور وردة الصحراء، وهي الباغية التي تتوب على يد جلال الدين الرومي، في الرواية الشهيرة "قواعد العشق الأربعين"، ولوقتها لم تكن تفكّر في المولوية غير أنها طقس غامض وثقيل على نفسها يجب تعلمه لإتقان الدور.

تتذكّر تلك الأيام، فيما ابتسامة على وجهها تتّسع "كنت أذهب إلى دروس تعليم المولوية على يد الأستاذ سامي السويسي وأقول لذاتي جاء موعد وجع المعدة، والحرمان من الطعام لساعات قبل البروفة، والدوران والدوار". لكنها مع ذلك، أتقنت الرقصة بعد ثلاثة أشهر من التعلم، وباتت قادرة على الدوران لنحو 45 دقيقة متصلة، كما بدأت تقرأ وتشاهد عروضا لها لكي تتشرّبها.

كانت تلك رحلة الصعود الشاقة بالنسبة لها، وهي رحلة لا بد أن يصل إليها أي مريد أو صوفي، مغالبة المكروه لحين الوصول إلى اللذة، وفي رحلة أفنان وجدتها مصادفة كما تعلمتها مصادفة، فلم تبرحها من حينها.

وقالت شاهر لـ"العرب"، "فقط على المسرح، خلال العرض، إذ كنت قد انسلخت عن نفسي، واندمجت بالكامل في شخصية وردة الصحراء التي لم تختر البغاء، لكنها اختارت التوبة، وتعلمت المولوية على يد الرومي كسبيل للوصل وطقس للزهد، ذقت وقتها حلاوة لم تتكرّر في شيء غيرها".

من حينها، باتت المولوية طريقتها للخلاص، متى استشعرت الضيق قامت لتؤدّيها، في منزلها دون حتى أن ترتدي زيها، المهم أن فلسفتها باتت حاضرة دائما داخلها. وعلى الرغم من أن أفنان تؤدّي المولوية منفردة أو بصحبة زميلها المولوي علي حسين، داخل فرقة "روح"، التي تقدّم عروضا تجمع بين الإنشاد والترنيم، فإن المولوية بالأساس طقس جماعي، فهي بمثابة الحضرة للطريقة التي أسّسها الرومي.

ويلاحظ عند أداء أفنان للمولوية ترديدها للأناشيد وإغماض العينين أحيانا والانفصال البادي عن المحيط بشكل تام، كما يلاحظ أيضا اختلاف حركات اليد، تارة ترفع يدا إلى السماء وتخفض أخرى إلى الأرض، وتارة تخفضهما إلى الأرض، وتارة إلى القلب.

رحلة الصعود إلى السماء على جناح التنورة البيضاء

وعن ذلك تقول "كل شيء في المولوية له معنى، بداية من الزي الأبيض فهو يرمز إلى الكفن، يرتديه المولوي في إشارة إلى أنه يقدّم روحه إلى الله".

في تركيا يرتدي المولوي عباءة سوداء فوق الزي الأبيض، ويخلعها في بداية الطقس أو أوله، وهو يرمز إلى الدنيا أو الهموم التي يخلعها المولوي ويندمج في رحاب الله.

أما في ما يخص الإشارات، فتقول "المولوية تقوم بالأساس على الدوران حول الذات، وفيه تُثبّت القدم اليسرى، وتمثل الشريعة، أما القدم اليمنى التي تدور حولها فتمثل الدنيا، أي أن المولوي يدور حياته حول الغاية والهدف الثابت السامي وهو الشريعة".

وأضافت "رفع اليد اليمنى إلى أعلى واليسرى إلى أسفل تعني وصل بين السماء والأرض، المدد المأخوذ من السماء الواصل للعباد في الأرض، وكذلك اليد إلى الأعلى وأخرى إلى موضع القلب، حيث طلب المدد والعون للقرب من الله".

وتتلهّف أفنان شاهر لليوم الذي تستطيع فيه أن تؤسّس فرقة مولوية، وتنحاز إلى الفتيات وتتمنى أن تكون فرقتها منهنّ.

معرض للكتاب بروح رمضانية يعزّز الأنشطة الثقافية في مصر

رغم ما تشهده مصر من موجة ثالثة من فايروس كورونا ارتأى القائمون على معرض فيصل الرمضاني للكتاب تنظيمه هذا العام، وذلك لما يحقّقه من حركية ثقافية في ليالي القاهرة الرمضانية الموسومة منذ القدم بطقسها الخاص في شهر الصيام.

القاهرة – افتتحت وزارة الثقافة المصرية فعاليات معرض فيصل الرمضاني للكتاب الذي تنظمه الهيئة المصرية العامة للكتاب، على الرغم من تفشي مرض فايروس كورونا المستجد.

وتشارك في المعرض 42 دار نشر، إلى جانب قطاعات وزارة الثقافة والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. وعنه يقول أحمد بهي الدين نائب رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب "المعرض يقدّم وجبة ثقافية ثرية بسعر في المتناول.. ويُعيد بث الروح في دور النشر بعد أزمة فايروس كورونا، ويعزّز الأنشطة الثقافية في مصر".

وأوضح بهي الدين أن "المعرض يقام في شهر رمضان من كل عام، وهذه الدورة التاسعة له، ومصر معروفة بالليالي الرمضانية التي تكون فيها الأنشطة الاجتماعية والثقافية ذات طابع خاص، ومن هنا جاء الإصرار على استمرارية هذا المعرض".

وأضاف أن "هناك بعض العناصر التي تميّز هذا المعرض في دورته الحالية، أهمها أسعار الكتب، إذ أن أعلى سعر للكتاب هو 20 جنيها مصريا (الدولار الأميركي الواحد يعادل نحو 15.66 جنيه) سواء في دور النشر الحكومية أو الخاصة، وهو سعر في متناول الجميع".

ويشهد المعرض إقبالا كبيرا من جميع الفئات العمرية، بداية من الأطفال وانتهاءً إلى الشباب والكبار، خاصة أنه يقدّم كتبا قيّمة، سواء كانت إصدارات قديمة أو حديثة، وبسعر مناسب.

وقال بهي الدين "نحرص على إعادة بث الروح في دور النشر، لأن الكل يعلم أن أزمة كوفيد – 19 أصابت قطاعات كثيرة منها قطاع النشر، ونحاول طوال الوقت إجراء توازن بين دعم الناشرين والقراء، لتقديم وجبة ثقافية غنية وفي المتناول".

ودخول المعرض مجاني، مع تطبيق الإجراءات الاحترازية بشكل صارم لوقاية الزائرين من كورونا.

وإلى جانب الكتب يضم المعرض ورشا للحرف التقليدية المختلفة، ومعرضا للمخطوطات تقدّم خلاله دار الكتب والوثائق القومية مخطوطات من مختلف العصور عن شهر رمضان، فضلا عن ورش رسم للأطفال، ومسرح تقدّم عبره قطاعات وزارة الثقافة وخصوصا قطاع الفنون الشعبية فقرات فنية وغنائية وغير ذلك من الفقرات الأخرى.

وأكّد المسؤول الثقافي أن المعرض "يعزّز فكرة الصناعات الثقافية"، قبل أن يشير إلى أنه يأتي أيضا في إطار مبادرة "ثقافتك كتابك" التي أعلنتها وزيرة الثقافة المصرية إيناس عبدالدايم.

ويشدّد بهي الدين على أن "المحتوى المعرفي في مصر يخطو خطوات ثابتة، وهناك أهمية لنشر الكتاب والمحتوى المعرفي المصري على وجه الخصوص، والإنساني على وجه العموم، من أجل بناء الشخصية واستعادة القيم من خلال القراءة التي ما زالت مؤثرة حتى الآن".

أما أيمن فتحي، وهو أحد العارضين، فقال إن المعرض هذا العام مختلف عن دوراته السابقة، لأنه يعرض كتبا قديمة وجديدة في جميع التخصّصات بأسعار في متناول الجميع.

ووصف إقبال المواطنين على زيارة المعرض بأنه جيد جدا، وأشار إلى أن المبيعات تسير بشكل جيد في إطار المأمول.

وتابع "لدينا في مصر مستوى الثقافة عال، ونشارك في معارض على مستوى الجمهورية، وليس القاهرة فقط، وحاليا أصبحنا نصل إلى القرى، وهذا كان أحد الأهداف وهو وصول الكتاب إلى جميع قرى مصر".

أسعار مخفضة في متناول كل جيب

وذكر عز صابر، مدير جناح هيئة الخدمة الروحية للنشر، أن المعرض يتميّز بـ"الروح الرمضانية"، وقال إن هيئة الخدمة الروحية للنشر شاركت في جميع دورات معرض فيصل، لأن "جو هذا المعرض مختلف عن المعارض الأخرى".

وتقدّم الهيئة تخفيضات كبيرة في أسعار الكتب التي أصبح سعرها يتراوح بين 5 و20 جنيها للكتاب الواحد، وتعرض كتبا عن التنمية البشرية والثقافية وكتبا مخصصة للأطفال.

وأوضح صابر أن الإقبال على المعرض جيد جدا رغم أزمة كورونا، ونوّه بأن أكثر الكتب مبيعا هي الخاصة بالأطفال، مؤكّدا أن الكتاب سيظل "متعة القراءة" رغم انتشار شبكة الإنترنت.

في حين تشارك الهيئة العامة لقصور الثقافة بجناح للحرف اليدوية في المعرض. وقال علي إسماعيل من الهيئة إنهم يعرضون السجاد والحصير والخزف والخيامية والنحاس والخرز، "وهذه الأشياء تلقى قبولا كبيرا من الزائرين".

وتابع أن "أسعارنا أرخص من السوق، ونعرض سجادة بـ 1500 جنيه (حوالي 10 دولارات)، رغم أن ثمنها في الخارج 3 آلاف جنيه، واسم السجادة بائع العرقسوس، كما نعرض أشكالا مختلفة من حصيرة شبه منقرضة بسعر 400 جنيه (حوالي 2.5 دولار)". ويشهد المعرض إقبالا من الزائرين بمختلف فئاتهم العمرية.

وقالت سلمى سالم، طالبة بجامعة القاهرة، "أقوم بزيارة المعرض كل عام.. لأن أسعار الكتب تناسبني".

> **المعرض يضم إلى جانب الكتب وورش الحرف التقليدية معرضا للمخطوطات من مختلف العصور عن شهر رمضان**

وأضافت "معظم الكتب المعروضة هادفة، وهناك روايات تجذب الشباب، وبالفعل قمت بشراء روايتين".

ويعدّ معرض الكتاب فرصة أمام القارئ للحصول على إصدارات من سنوات سابقة لم يتمكن من الحصول عليها وبأسعار مخفضة، وهو ما يشجّع على القراءة والشراء خاصة بالنسبة إلى القارئ الذي ليس لديه إمكانيات مادية كبيرة، ويحقّق ذلك مصلحة للطرفين القارئ والناشر ولسوق النشر عموما.

وحول نجاح المعرض وتحوّله إلى معرض دائم يقام في رمضان قال أحمد مجاهد، رئيس هيئة الكتاب السابق، "في عام 2011 بعد توقّف معرض القاهرة الدولي للكتاب بسبب انطلاق ثورة 25 يناير تمت إقامة المعرض بأرض فيصل، وحقق المعرض رواجا وإقبالا من الجماهير، ما دفعنا إلى الاستمرار في إقامته بشكل سنوي في رمضان".